فارس البلقاء

أبو محجن الثقفي

أشخاص المسرحية

أبو محجن الثقفى	فارس البلقاء
سعد بن أبى وقاص	أمير الجيش والقائد العام
خالد بن عرفطة	نائب القائد العام
القعقاع بن عمرو	
المغيرة بن شعبة	
سلمى بنت أبى خصفة	زوج سعد (يسمع صوتها)

غلمان لسعد يقومون على خدمته.

الفصل الأول

فى القادسية فى موضع بين العتيق وبين الخندق ، حيث دارت معارك القادسية بين فارس والمسلمين — فى يوم أغوات وهو اليوم الثانى من أيام القادسية ، يقف المسلمون أمام قصر قديس وهو حصن كان للفرس هناك ، اتخذه سعد ابن أبى وقاص مقاماً له لمرضه بعرق النسا والدماميل ، وعجزه بذلك عن الحركة فضلا عن الركوب والخروج إلى ساحة القتال . فبقى سعد بالقصر يدير دفة القتال من شرفة القصر الدنيا ، حيث يطل على الميدان وهو مكب على وجهه وعلى صدره الوسائد من علته وضعفه . وقد اختار خالد بن عرفطة العذرى ليقوم مقامه فى مباشرة القيادة العامة ، وأمره بالوقوف تحت القصر ، قريبا من سعد ، وسعد يصدر إليه أوامره فينفذها خالد ويبلغها للقواد بواسطة مبلغين أقامهم صفوفا ثلاثة فى اتجاهات مختلفة أحدها إلى الميمنة ، والثانى إلى القلب ، والثالث إلى الميسرة ، فكان هؤلاء أداة الاتصال بين القواد فى مقدم الصفوف وبين القائد العام . وكان المسلمون قد لقوا فى اليوم الأول وهو يوم أرماث بلاء كبيرا من العدو ، وكادت الدائرة تدور عليهم ، لو لم

ينجح جماعة من أبطالهم فى قطع وضن فيلة العدو وتعطيلها بذلك عن العمل .

يظهر على المسرح الجزء الأمامى من قصر قديس وهو حصن قليل المناعة مدور البناء ، له شرفة مدورة مثله ، تتصل بها عن يمين المسرح غرفة تقيم بها سلمى بنت أبى خصفة زوجة سعد ، وتحت هذه الغرفة محبس يسجن فيه أصحاب التبعات ، وله شباك من الحديد يشرف على ميدان القتال .

يرى سعد على سريره فى الشرفة ، مكبا على وجهه ، معتمدا بيديه على حافة الشرفة ، مطلا على ساحة القتال ، وعنده ثلاثة من غلمانه يتولون شأنه ، ويقومون بخدمته . ويرى خالد بن عرفطة واقفاً على مصطبة تحت القصر تدور حيث دار القصر . وأمامه ثلاثة من الرجال هم أوائل الصفوف الثلاثة للمبلغين .

سعد : (**لأحد غلمانه**) انزل يا غلام فأوصل القعقاع بن عمرو إلىّ .

الغلام : سمعاً يا مولاى .

(ينطلق موجها إلى يسار الشرفة حيث يغيب)

سعد : (**يرفع بصره إلى السماء**) اللهم هذه فارس قد خرجت بجموعها وفرسانها فإن لم تنصرنا اليوم عليها هلك المسلمون ! اللهم انصر المسلمين وثبّت أقدامهم ! اللهم فأنجز لنا وعدك !

(يعود الغلام ومعه القعقاع بن عمرو)

القعقاع : السلام عليكم يا أمير الجيش .

سعد : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .. أهلا بك يا قعقاع .. اعذرني إذ لم أقم إكراماً لك ، فإني كما ترى عليل لا أستطيع الحركة .

القعقاع : (**يصافح سعدا**) لا بأس عليك يا سعد . أبشّرك بستة آلاف قادمين على إثرى مددا لك .

سعد : مرحبا بكم .. لقد جئتمونا أحوج ما نكون إليكم . فكيف تركت إخواننا بالشام ؟

القعقاع : تركتهم وقد دخلوا دمشق .

سعد : أو قد فتح الله دمشق للمسلمين ؟

القعقاع : نعم وهم ماضون لفتح سائر بلاد الشام .

سعد : الحمد لله وحده صدق وعده ! (**لخالد بن عرفطة تحت القصر**) يا خالدَ بشّر المسلمين بأن الله قد فتح لإخوانهم دمشق وهزم الروم .

خالد : يا معاشر المسلمين : أبشروا فقد فتح الله لإخوانكم دمشق وهزم الروم !

المبلغون : يا معاشر المسلمين : أبشروا فقد فتح الله لإخوانكم دمشق وهزم الروم !

أصوات الجموع : الله أكبر ! الله أكبر !

سعد : (**للقعقاع**) إني لأرجو أن يهزم الله لنا هذا العدوّ الأشد كما هزم أولٰئك .

القعقاع : إن شاء الله .

سعد : أين أميركم خالد بن الوليد ؟

القعقاع : قد استبقاه أبو عبيدة عنده بالشام .

سعد : ألم يأمره أمير المؤمنين بإرسال خالد إلينا ؟

القعقاع : ورد عليه كتاب أمير المؤمنين بإرسال الجيش العراقيّ مدداً لك ولم يذكر فيه خالداً بالتعيين ، فرأى أبو عبيدة استبقاءه عنده لقتال الروم .

سعد : غفر الله لأبى عبيدة : هلا أمدنا بسيف الله فنحن أحوج إليه منهم . لقد لقينا من هؤلاء وفيلتهم أمس بلاء كبيرا . فلمن عقد إمارتكم ؟

القعقاع : لليث عاديا ... لابن أخيك هاشم بن عتبة .

سعد : نعم ابن الأخ هو . ولكن أين هاشم من سيف الله ؟ لقد نظر أبو عبيدة لنفسه إذ ضنّ بخالد علىّ .

القعقاع : أما إنك لو شهدت بلاء ابن أخيك فى قتال الروم لسرّك أن تراه ولو كان بعين واحدة !

سعد : أو قد أصيب فى عينه ؟

القعقاع : نعم ، فقئت عينه يوم اليرموك .

سعد : فى سبيل الله ما لقيت عينه ! عوّضه الله خيراً منها ! متى يقدم هاشم ؟

القعقاع : ما إخاله يصال إلينا بمعظم الجيش قبل صباح الغد . فقد سرّحنى قبله فى ألف أمرتهم فتقطّعوا أعشاراً كلما بلغ عشرة

منهم مدى البصر سرّحوا فى آثارهم عشرة . وهأنذا جئتك فى العشرة الأولى .

سعد : أأردت بهذا تنشيط المسلمين ؟

القعقاع : إى والله وإرهاب العدو .

سعد : لله درك يا قعقاع . والله إنى لبقدومك أفرح منى بقدوم ابن أخي . رحم الله أبا بكر . لقد قال فيك قولا تحسد عليه إلى الأبد : صوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل ، لا يهزم جيش فيهم القعقاع .

القعقاع : لعل الله يجعلنى جديراً بثناء خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يلتفت إلى جنود المسلمين فى الميدان**) ما لهؤلاء وقوفا ؟ ألا يبتدئون القتال ؟

سعد : إنهم قد سوّوا صفوفهم ، وأمرت الشعراء والخطباء أن يحرضوهم على الثبات وصدق اللقاء ، ويذكروهم بأيام الله وأيام العرب ، وهم ينتظرون التكبيرة الثالثة وتلك جيوش العدو ما تزال ترد كراديسها وتنثال جموعها .

القعقاع : سنجعلها لسيوفنا جزرا إن شاء الله . فأين فيلتهم ؟

سعد : لعلهم لا يقاتلوننا بها اليوم ، فقد قطع المسلمون وضنها أمس .

القعقاع : أما والله لئن عاد بها رستم اليوم لأجعلنّ للمسلمين منها مخرجا ، ثم لأزعجنّ خيوله بفيلة العرب !

سعد : وما فيلة العرب ويحك ؟

القعقاع : الإبل نجللها ونبرقعها بالسواد !

سعد : لله أبوك ! قد عرفتك ذا بسالة فى الحرب ، فإذا أنت أيضا ذو حيلة فيها وكيد . عمن تلقيت هذا ويحك ؟

القعقاع : عن خالد بن الوليد تلقيت ، ومن بحره استقيت.

سعد : إنه البحر لا تكدّره الدلاء .

القعقاع : أفلا تأذن لى فى الخروج إلى الناس ؟

سعد : أجل قد حبستك عنهم ، فاخرج مباركاً للمسلمين فيك .

(يخرج القعقاع من حيث دخل)

صوت فى الميدان : أيها الناس : احمدوا الله على ما هداكم وأبلاكم يزدكم ، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم ، وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر ، والفلوات التى لا يقطعها الأدلة .

سعد : (لخالد) من هذا يا خالد ؟

خالد : هذا قيس بن هبيرة الأسدىّ .

سعد : ما أحسن ما قال !

صوت آخر : أيها المسلمون : صدقوا قولكم بفعل . فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووحّدتموه ، وآمنتم بنبيه ورسله فلا تموتُنّ إلّا وأنتم مسلمون . ولا يكونن شيء أهون عليكم من الدنيا ، فإنها تأتى من تهاون بها ، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم . انصُروا الله ينصركم ؟

سعد : من هذا ؟

خالد : هذا بسُر بن أبى رُهم الجُهَنىّ .

سعد : أحسن والله القول .

صوت آخر : يا معشر العرب : إنكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان القوم ودهاقينهم . وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونُنّ على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم . لا تحدثوا اليوم أمراً تكونون به غداً شَيْناً على العرب !

سعد : أهذا عاصم بن عمرو !

خالد : أجلْ .

سعد : لافضّ فوه !

صوت آخر : يا معاشر العرب : قاتلوا للدين والدنيا ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السمٰوات والأرض أعِدّتْ للمتقين . وإن عظّم الشيطان عليكم الأمر فاذكروا الأخبار عنكم غداً بالمواسم ما دام للأخبار أهل .

سعد : ما أبلغه : من هذا ؟

خالد : هذا ربيع بن البلاد السَّعْدى .

صوت آخر : يا معاشر العرب : لقد سمعت رستما يقول : أكل عمر ابن الخطاب كبدى ! وإن الحديد لفى أيديكم ، وإن الإيمان لفى قلوبكم ؛ فحقّقُوا بهما قول رستم ، ثم أروه أن أمير المؤمنين لن يكتفى بكبده حتى ينال كبد بلاده أجمع فيطعمها خالصة للمسلمين . إنكم إذ تقاتلونهم إنما تنتظرون ميراثكم وموعود ربكم إذ قال عز وجل :

ولقد كتبنا فى الزّبور من بعد الذكر أن الأرض يرثُها
عبادى الصالحون. !

سعد : هذا ورب الكعبة صوت المغيرة بن شعبة .

خالد : أجل إنه هو . وهذا أبو محجن الثقفىّ قد أقبل يتهادى في الناس .

سعد : لعله يريد أن ينشدهم شعراً .

صوت أبو محجن : أيها الناس : لقد سمعتم هؤلاء فأصغوا الآن لقولى .

أصوات : هات ما عندك : قل يا أبا محجن !

صوت أبى مخجن : (**يترنم**)

إذا متُّ فادفنّى إلى أصل كرمـــــــة
تروّى عظامى بعـد موتـى عروقهـا !
ولا تدفننـــى فى الفـــلاة ، فإننـــى
أخـــاف إذا مامتُّ أن لا أذوقُهـــا !

أصوات : اسكتْ أخزاك الله ! ألهذا دعوتنا أن نسمع ؟

سعد : (**يغضب**) ما إخال الشقى إلا سكران .. أسكتوه وائتونى به.

خالد : أسكتوه وائتونى به ! (**يظهر ثلاثة من الشرطة أمام خالد وهم يسوقون أبا محجن أمامهم وهو يترنح ترنح الثمل**) اصعدوا به إلى الأمير .

(**يمثل أبو محجن أمام سعد وحوله الشرطة**)

سعد : ويلك يا أبا محجن . أما تستحي أن تلقى على المسلمين فى موقف كهذا أشعاراً فى الخمر ؟

أبو محجن : إنما هي أبيات هجمتْ على خاطرى فترنمت بها . وأنت تعلم أن لو اشتهتْ عينى رؤية الخمر لما وجدتُ إليها سبيلا فى هذا القفر . فلا أقل من أن أتغنى بها .

سعد : هلا حرّضت المسلمين بشعرك على الجهاد كما فعل الشماخ والحطيئة وعبدة بن الطبيب وأوس بن مغراء ؟

أبو محجن : ما يسرنى أن أكون مثلهم . إنما هؤلاء قوّالون وليسوا بفعّالين . إنهم لا يبلون فى الحرب بلائى ولا يغنون غنائى .

سعد : ما ضرك لو جمعت بين الحُسنَيَيْن ، فأريتنا خيرك ، وكففت عنا شرك .

أبو محجن : إنى لأعلم بنفسى منك يا سعد ، لقد حاسبت نفسى فوجدت أن خيرى يرجح على شرى .

سعد : (**يحد النظر إليه**) ما هذا الترنح فى عِطفيك ؟ أجئتنى شارباً يا فاسق ؟ هلمّ ادنُ منى .

أبو محجن : من الخير أن لا تشم فمي يا سعد ، فربما تجد فيه عبق الخمر من طول ما شربتها فى العهود السالفة .

سعد : دعنى من اعتذاراتك .. ادنُ منى ! (**يدنو أبو محجن من سعد**) (**يشم رائحة الخمر من فيه**) لقد والله شربتها اليوم ولم تتب ، بعد أن حُدِدْت فيها مرة بعد مرة .

أبو محجن : إى والله لقد باكرتها اليوم مشعشعة صافية ! وستقيم علىّ الحدّ فأشربها غداً وتقيم الحد فأشربها بعد غد !

سعد : ويلك ما أجرأك على الله ! أتعتقد حِلَّها !

أبو محجن : (**مستعظما**) أعتقد حلّها ! لا والله لأن تتخطفني الطير ، أو تنزل على رأسي صاعقة من السماء أهونُ عليّ من أن أحِلّ ما حرّم الله . ولكنى أرجو مغفرة ربى سبحانه ، ورحمته التى وسعت كل شىء فلا تضيّقها يا سعد .

سعد : والله لأقيمن عليك الحد ، ولأتمنّها ثمانين جلدة سُنَّةَ عُمر !

أبو محجن : والله لا أبالي أربعين أو ثمانين أو أكثر . فإنى لا أخاف الحد ، بل أستحبّه كفارة لى ترحض عنى الإثم وتمحو الخطيئة . بيد أنى أنشدك الله يا أمير الجيش أن تؤجل ذلك حتى أشهد حرب اليوم ؛ فإن أكرمني الله بالشهادة ، فلن يضرنى معها كأس شربتها مُترعة ! وإلّا ففى غد متّسع لإقامة الحدود .

سعد : لقد شغلتنى وشغلت المسلمين لحاك الله ! والله لأحبسنّك إلى الغد (**للشرطة**) خذوه إلى المحبس !

أبو محجن : لا يا سعدُ سعدَ بنى وهُيب ، يا خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبلعنى ريقى !

سعد : قد فعلت فماذا أنت قائل ؟

أبو محجن : أعفنى من الحبس ودعنى أقاتل مع المسلمين ، فما ينبغى لفارس مثلى أن يحبس اليوم ، ثم اصنع بى بعد ذلك ما تشاء .

سعد : لا أعفيك من الحبس حتى تعاهدنى أن لا تعود إلى الخمر أبداً .

أبو محجن : لا أرضى لنفسى الكذب على ربىّ وعلى الناس . أما التوبة عن الصهباء فلا !

سعد : إذَنْ فإلى المحبس !

أبو محجن : إذَنْ تحرم المسلمين بلاء سيفى .

سعد : لا حاجة بالمسلمين إلى سيفك . اين أنت من القعقاع بن عمرو وطليحة بن خُويلد والرِبّيل بن عمرو وحمّال بن مالك وأبى ثور عمرو بن معد يكرب وأولئك الأبطال ؟ (**للشرطة**) اخرجوا به إلى المحبس فقيّدوا يديه ورجليه (**يسوقه الشرطة أمامهم حتى يظهر فى المحبس شباكه الحديدى والقيد فى يديه**) (**لخالد**) ماذا جد عندك يا خالد ، فقد شغلنى هذا الثقفى الشقى ؟

خالد : إن الناس قد استبطأوا تكبيرتك الثالثة . وتلك جموع العدو قد تكاملت صفوفها ، وذاك رستم كبير القوم قد خرج . وما أرى إلّا أنهم سيبدأوننا القتال .

سعد : ألم تأت فيلتهم ؟

خالد : ما أحسبهم يقاتلون بها اليوم ، ولو أرادوا ذلك لقد أخرجوها .

سعد : الحمد لله . كفى الله المؤمنين شرها . إنك يا خالد لحديد البصر فأشِرْ لى إلى الجهة التى فيها رستم .

خالد : (**يشير بأصبعه**) انظر هذا النحو ، أترى ثمّ شيئاً يخطف البصر ؟

سعد : (**يحدق**) نَعَمْ ويحك .

خالد : فهو ذاك محمولا فوق سريره ، على رأسه التاج يلمع .

سعد : فلأكبر الثالثة إذاً .. آذِنهم بها يا خالد .

خالد : إن الأمير مكبر الآن تكبيرته الثالثة فإذا كبّر فليبرز أولو النجدة من الفرسان أمام الصف ، فإنما أول القتال المبارزة .

سعد : (**بأعلى صوته**) الله أكبر !

خالد : (**بأعلى صوته**) الله أكبر !

أصوات المسلمين : الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !

سعد : إن فارس تأخذ بالفأل ، وستختار أشجع فرسانها جميعاً ليكون أول مبارز . فما رأيك يا خالد أى فرساننا نختار ليكون أول مبارز ؟

خالد : أرى أن تختار عمرو بن معد يكرب .

سعد : أنعِم وأكرِمْ بأبى ثور فارس العرب .

خالد : آمُره بذلك ؟

سعد : نَعَمْ مره فليكنْ أوّل مبارز — ولكن مهلًا يا خالد ! هذا فارس قد ندر أمام الصف يطلب البراز فمن هو ؟

خالد : هذا القعقاع بن عمرو التميميّ .

سعد : دعه فقد اختاره الله وهو أعلم بما يختار . أشهد أن أبا بكر قال فيه إنه فى الجيش خير من ألف رجل .

خالد : ليت شعرى من يبرز له من فرسان العدوّ ؟

سعد : إن صدق ظني فسيبرز له ذو الحاجب بطل يوم الجسر ، فهو أشدهم وطأة على العرب ، وأكبرهم هيبة فى صدورهم منذ مقتل أبى عبيد وسليط وأصحابهما فى وقعة الجسر .

خالد : ها قد برز فارسهم المّعلم كأنه سارية !

سعد : سلهم من هو .

خالد : (**لمن يليه من مبلغي القلب**) سلوا من فارس العدو .

سعد : ها هما يجتلدان .. اللهم ثبّت القعقاع .

خالد : يتصاولان ... سترهما الغبار ... هوى أحد الفارسين !

سعد : اللهم اجعله العلج !

أصوات انمسلمين : الله أكبر !

خالد : أجل ، هو العلج الذى هوى .

أصوات المسلمين : الله أكبر هلك ذو الحاجب ! يالثارات أبى عبيدة وسليط !

سعد : أجل ، يالثارات أبى عبيد وسليط !

خالد : هذان فارسان آخران قد برزا للقعقاع .

سعد : ويحه .. أيقاتلهما وحده ؟

خالد : لا فهذا الحارث بن ظبيان قد انضم إليه .

سعد : اللهم انصر القعقاع وصاحبه .

خالد : هوى فارسان منهم .

سعد : اللهم اجعلهما العلجين !

أصوات المسلمين : الله أكبر ! هلك البيرزان !

سعد : ذاك القعقاع وحده ، أين الحارث بن ظبيان صاحبه ؟

خالد : رجع إلى الصفّ . أسمع القعقاع يرتجز .

صوت القعقاع : (**يدوى كالرعد**)

قد علِمتْ مصقولة الترائبْ
ذات العيون السود والحواجبْ
أنِّيَ سمّ البطل المحاربْ
حملتُ بالسيف على ذى الحاجبْ
فأصبح اليوم كأمس الذاهبْ !
والبيرزان رعته بالقاضبْ
ماضى الغرار كالقضاء الغالبْ !

سعد : إيه يا قعقاع ! إيه يا فارس تميم !

خالد : لم يبرز له أحد من القوم .

صوت القعقاع : يا أبطال المسلمين ! مكانكم ! أمهلونى حتى أقتل من صناديدهم عدد أيام الشهر ثم ابرزوا لهم .

خالد : ما أرى القعقاع إلا طالباً للشهادة .

سعد : لا تخش عليه .

صوت القعقاع : يا معشر فارس : إن ذا الحاجب كان أقواكم فقتلته ، ولستُ بأقوى قومى ! فإن شئتم أن تأخذوا بثأره منى فليبرز لى أبطالكم واحدا بعد واحد .

خالد : لقد طلب والله أمراً عظيما .

سعد : لا عظيم على فارس تميم !

خالد : هاقد برز له فارس من العدو .

صوت القعقاع : أيها المسلمون عدوّا من ثلاثة !

أصوات المسلمين : الله أكبر !

سعد وخالد : ثلاثة ...

صوت القعقاع : أيها المسلمون ! والله ليقتلنّ أخوكم الثلاثين ، فعدّوا ولا تكبّروا إلا عند تمام العدّة . فإنما الثلاثون من هؤلاء كواحد منكم !

سعد وخالد : (**يعدان بأصابعهما**) أربعة ... خمسة ... ستة ... سبعة ... ثمانية .... تسعة ... عشرة ... احد عشر .... اثنا عشر ... ثلاثة عشر ... أربعة عشر ... خمسة عشر ... ستة عشر ... سبعة عشر ... ثمانية عشر ... تسعة عشر .

صوت القعقاع : أعرني سيفك يا طليحة !

خالد : خان القعقاعَ سيفه .

سعد : لن يخونه قلبه !

خالد : أعاره طليحة سيفه .

سعد وخالد : عشرون ... واحد وعشرون ... اثنان وعشرون ... ثلاثة وعشرون ... أربعة وعشرون ... خمسة وعشرون ... ستة وعشرون ... سبعة وعشرون ... ثمانية وعشرون .

خالد : لم يبق إلا اثنان من التكبير .

سعد : أجَلْ .. اثنان .

سعد وخالد : تسعة وعشرون .

خالد : انتحى القعقاع جانبا ..

سعد : عجباً .. ماله ؟ أتراه أصيب ؟

خالد : لا أدرى .

صوت القعقاع : يا معاشر فارس . يا جنود كسرى ! إنه لم يبق لكم إلا بطل واحد ليقتلنى . فخير لكم أن تدعوا كبيركم رستما يخرج لى ليحول بينى وبين قسمى الذى حلفته !

خالد : لله أبوه ! يطلب رستماً للمبارزة . ليت شعرى أيبرز له رستم ؟

سعد : ما أظنه فاعلًا .. إن كبرياءه تمنعه دون ذلك .

خالد : هذا فارس منهم قد برز .

سعد : أهو رستم ويحك ؟

خالد : كلا فذاك تاج رستم باق حيث كان . وإنما هذا رجل عربىّ الزىّ والهيئة .

سعد : لعله ترجمانهم ليقول شيئاً .

صوت الترجمان : يا معاشر العرب ! إنه ليس بينكم رجل هو كفءٌ لرستم . فإن أبيتم إلا أن تروا بأسه فليخرج له أميركم من قصره .

سعد : أنصف والله رستم .. ويح ابن أبى وقاص ! قبّح الله يوماً أدعى فيه للنزال فلا أجيب ! يا ليتنى متُّ قبل هذا اليوم !

صوت القعقاع : أبلغ رستماً عنا أننا معاشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً مثلكم ، فكلنا عند كلنا سواء . وإنما نتفاضل بالتقوى والفعال . أما أنت يا رستم فإنما طلبت أميرنا للخروج لأنك تعلم عذره ، ولو أقلّت أميرنا فرسه لأجابك إلى ما سألت !

خالد : أقبل الفارس الذى بعثه رستم .

صوت القعقاع : هلم يا فارس ! لقد وقيت رستما بنفسك . أيها المسلمون هذا تمام الثلاثين فكبروا !

أصوات المسلمين : الله أكبر !

صوت القعقاع : يا أبطال العرب ! قد أبرّ الله قسم أخيكم فهلمُّوا الآن فنازلوا أعلام العدوّ . اخرج يا عمرو يا بن معديكرب !

صوت عمرو : سميعا دعوت ! أنا أبو ثور أنا فارس العرب !

خالد : هذا أبو ثور قد خرج كأنه جبل على فرس !

سعد : إيه يا أخا الصمصامة !

صوت عمرو : أنا ابن معديكرب المرهوبُ
قد علمَت ريحانةُ اللُّعْبوب
أنى إذا ما وهت القلوبُ
خوفاً ، أكُول للعِدا شرُوبُ

خالد : ها قد برز له فارس جسيم لم أر مثله عظما .

سعد : قد عرف القوم من يختارونه للقاء أبي ثور .

خالد : أجل اختاروا له جبلا مثله .

صوت عمرو : يا معاشر العرب . أرأيتم هذا الثور الضخم ؟ انظروا ماذا أصنع به .

خالد : عجباً ! لم يحمل عمرو سيفه بيده .. إنما بيده الترس وحدها .

سعد : أبالترس وحدها يلقى هذا الهولة ؟

خالد : شدّ عليه عمرو ... أهوى العلجُ عليه بسيفه ... اتقى عمرو ضربته بترسه ... الله أكبر ... وثب إلى العلج على جواده ... أقله عالياً بيديه كأنه جبل على جبل على فرس ! رمى به إلى الأرض !

أصوات المسلمين : الله أكبر !

سعد : (يبتسم) قاتلك الله يا أبا ثور !

صوت عمرو : أيها المسلمون ! اصنعوا كما أصنع واذبحوهم هكذا .

خالد : احتز عمرو رأسه .. ، رمى به فوق صفوف العدو !

سعد : والله ليهيجنّ العدو بما صنع . آذنهم بالتكبيرة الرابعة يا خالد .

خالد : أيها المسلمون . سيكبر أميركم الرابعة فإذا كبر فاحملوا على القوم ، والله ناصركم .

سعد : (**بأعلى صوته**) الله أكبر !

خالد : (**بأعلى صوته**) الله أكبر !

أصوات المسلمين : الله أكبر !

خالد : حمل المسلمون والتحم القتال .

سعد : (**يدعو**) اللهم انصر المسلمين ! اللهم نصراً كنصر الشام ! ليت البلقاء تحملنى . ويح لى مكبا على وجهى كالشيخ الهرم ! كيف ترى الناس يا خالد ؟

خالد : الميمنة غالبة على ميسرة العدو .

سعد : لله در بنى أسد . هناك البطل طليحة بن خويلد .

خالد : وهذا القلب بخير .

سعد : غفر الله لبنى تميم ! هناك القعقاع بن عمرو ! أما ترى الميسرة تتقهقر يا خالد ؟

خالد : أجلْ ، تلك خيول العدو تريد بها الإحداق .

سعد : مر طليحة فلينجد الميسرة .

خالد : (**لمن يليه من المبلغين**) صلنى بالميمنة ــ صلنى بنى أسد ــ صلنى بطُليحة بن خُويلد ــ أدرك الميسرة يا طليحة ،

سعد : لله در القعقاع ! هذه خيوله ترد تترى فرقة بعد فرقة . ليت هاشماً قد جاء بجيشه . اللهم اطو له الأرض طياً ، اللهم أمدد به المسلمين !

خالد : ها قد أقبل طليحة ورجاله من خلف الميمنة .

سعد : غفر الله لك يا طليحة ، لئن ادّعيت النبوةَ يوماً وكفرت لقد أبليت اليوم بلاء يمحو ما تقدم من ذنبك . (**لغلمانه**) حوّلونى إلى الجانب الآخر .

(يحمل الغلمان سرير سعد إلى الجانب الآخر من الشرفة حيث يغيب عن الأنظار)

(يمشي خالد على المصطبة حتى يتوارى ليكون قريبا من سعد)

(يتحرك السجف الذى على نافذة الغرفة التى فيها سلمى زوجة سعد)

صوت سلمى : وامثنّياه ! ولا مثنّى للخيل اليوم !

أبو محجن : **(متطلعا من شباك المحبس)** صدقت والله : لا مُثنّى للخيل اليوم ولا أبا محجن لها . بربّك يا سلمى يا بنت آل خصفة ويا زوج سعد إلّا ما أصغيتِ لما أقول .

صوت سلمى : من أنت يرحمك الله ؟

أبو محجن : أنا أبو محجن الثقفىّ .

صوت سلمى : ماذا تريد ؟

أبو محجن : أفى الحق يا سلمى أن أنظر إلى المسلمين وهم يقاتلون العدو وبأس العدو عليهم شديد فلا أقاتل معهم ؟

صوت سلمى : فما يمنعك من ذلك ؟

أبو محجن : يمنعنى هذا القيد فى يدىّ وهذا الأدهم فى رجلىّ وهذا الباب الحديد المقفل !

صوت سلمى : أفى المحبس أنت ويحك ؟

أبو محجن : نعم ، فهل لك يا سلمى إلى خير ؟

صوت سلمى : وما ذاك ؟

أبو محجن : تأمرين غلامك فيخلى عنى ويعيرنى البلقاء فرس سعد.

صوت سلمى : أتريد أن تهرب من الحبس ؟

أبو محجن : لا والله الذى لا إلـٰه إلا هو ما الهرب قصدى ، وإنما أريد القتال مع المسلمين . ولك علىّ عهد الله وميثاقه لئن سلّمنى الله لأرجعن إليك حتى أضع رجلى فى القيد حيث أنا .

صوت سلمى : هلا سألت أمير الجيش ذلك ؟

أبو محجن : قد والله سألته وألحفتُ فلم يقبل منى .

صوت سلمى : إذاً فأنا عن قبول ما سألت أعجز . والله ليغضبنّ سعد إن فعلت .

أبو محجن : لن يدرى سعد بشىء من أمرى .

صوت سلمى : قد يتفقدك فلا يجدك حيث أنت .

أبو محجن : إن سعداً لفى شغل شاغل عنى فأنّى يتفقدنى ؟

صوت سلمى : كلا لا أجسر على ذلك .

أبو محجن : آه إن لم تفعلى فويح أبى محجن أبد الدهر !

(يترنم بصوت حزين مؤثر)

كفى حزناً أن تردىَ الخيل بالقنا
وأتركَ مشدوداً علىّ وثاقيا
إذا قمتُ عنّانى الحديد ، وغُلّقتْ
مصاريعُ من دونى تصم المناديا !
وقد كنتُ ذا مال كثير وإخوة
فقد تركونى واحداً لا أخاليا

لقد شف جسمي أن أظلّ بمحبس
أعالج قيداً مصمتاً قد برانيا
فالله دريّ يوم أترك مُوثَقاً
وتذهل عني أسرتي ورجاليا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت
ويُعْمِل غيري يوم ذاك العواليا
سُليمى ، دعيني أروِ سيفي من العِدَا
فسيفيَ أضحى ويحه اليوم صاديا !
دعيني أجُلْ في حومة الخيل جولة
تفرِّج من همي وتحيي فؤاديا
دعيني أخُضْ ذاك الغبار ، فإنه
سلامٌ على قلبي ، شفاءٌ لما بيا
يقطّع قلبي حسرةً أنْ أرى الوغى
ولا سامعٌ صوتي ولا من يرانيا !
وأن أشهد الإسلام يدعو مغوّثاً
فلا أنجد الإسلام حين دعانيا
فيا ليتني لم أشرب الخمر مرة
حياتي ، فمنها قد لقيتُ الدواهيا
نهاني عنها الدين دين محمد
فيا ليتني لم أعصِه إذ نهانيا
ولله عهدٌ لا أخيس بعهده
لئن فُرجت أن لا ازور الحوانيا

سليمى ، أغيثينى ، فقد مزق الأسى
فؤادى ، وبل الدمع منى ردائيا
سليمى اصنعى لله ما انتِ أهله
يكنْ لك رب العرش عنى جازيا
ولله عهد حين أنجو من الردى
أعيد لرجليّ الوثاق مكانيا

صوت سلمى : ما أراك إلا صادقا فى مقالك يا أبا محجن . ولكنى أخشى أن يتفقدك فلا يجدك فى المحبس فيعلم أنى أمرت بإطلاقك .

أبو محجن : قد قلت لك يا بنت آل خصفة إن سعداً لفى شغل عنى فلن يتفقدنى ، وإن خشيت ذلك بَعْدُ فمرى غلامك فليكن فى المحبس مكانى حتى أعود .

صوت سلمى : ولكن الناس سيرونك فى الميدان فيعرفونك .

أبو محجن : كلا لن يعرف أحد من أنا ، فسأغير هيئتى ، وألوث عمامتى على وجه لا يعرفنى فيه حتى ابن عمى .

صوت سلمى : أما هذا فنعم ... (**تقول لغلامها**) انزل يا غلام فأطلق سراح هذا الرجل واحلل انت مكانه حتى يعود .

(يظهر الغلام عند أبى محجن فيحل القيد عنه)

أبو محجن : شكر الله سعيك يا زوج سعد . ألا تأمرين الغلام بأن يعيرنى البلقاء ؟

صوت سلمى : أما البلقاء فلا والله لا أعيرك إياها .

أبو محجن : إذَنْ آخذها من الإصطبل .

صوت سلمى : أنت وذاك .

(يخرج أبو محجن من المحبس ويبقى الغلام فيه حيث ينعس فينام)

(يعود سعد إلى مكانه الأول من الشرفة ، ويتبعه خالد فيقف على المصطبة حيث كان)

خالد : الله أكبر .. من هذا الفارس المنطلق ؟ أحسبه هاشماً ابن أخيك .

سعد : كلا ما هذا بهاشم بن عتبة .

خالد : فمن هو إذاً ؟

سعد : لا أدرى والله من هو ... عجباً ، القد قدُّ أبى محجن والفرس فرسى البلقاء .. ولكن أبا محجن فى الحبس ، والبلقاء فى الإصطبل .

خالد : ها هو ذاك انطلق إلى الميمنة .. يحمل على ميسرة العدو .. يقصف أبطالهم قصفاً ؟

سعد : إيه أبا محجن ! أستغفر الله .. أبو محجن فى الحبس ... أين انطلق الآن ؟ لم أعد أراه .

خالد : ستره الغبار .

سعد : ما أحسبه إلا استشهد رحمه الله !

خالد : بل هو ذاك انحسر عنه الغبار — لا بل الفرس وحدها عُرياً ليس عليها راكب !

سعد : عُرياً ! أكان ركبها عرياً ؟ لعله زل عن ظهرها .. إلم يجد فى المسلمين من يعيره سرجا ؟

خالد : قد وثب عليها فارس فركبها .
سعد : أهو الفارس الأول ؟
خالد : لا أدرى ... ها هو ذا انطلق مقبلا .
سعد : يظهر لى أنه الفارس الأول .
خالد : الحق معك .. هو الفارس عينه .
سعد : هذا والله أبو محجن .. أستغفر الله .. أبو محجن فى الحبس.
خالد : دار خلف المسلمين .
سعد : دخل فى غمار القلب .
خالد : هو ذاك برز بين الصفين ... طفق يلعب برمحه وسلاحه .
سعد : ما أمهره لاعباً بسنانه !
خالد : تتحاماه الأبطال ... يحمل على القوم ... يقصفهم قصفاً منكرا .
سعد : قد شغلنا هذا الفارس عن غيره . سل عنه من هو . تلك كندة دونه .. أرسل السؤال إلى الأشعث بن قيس .
خالد : (**لمن يليه من المبلغين**) صلنى بالقلب .. صلنى بكندة .. صلنى بالأشعث بن قيس .. سله من فارس البلقاء ؟
سعد : أين اختفى فارس البلقاء ؟ لا أراه .
خالد : أحاطت به كوكبة من فرسان العدو .
سعد : أهو وسط تلك الحلقة المفرغة من الفرسان ؟
خالد : أجل .. هو ثمّ .. واأسفاه عليه !
سعد : أين أولو النجدات ؟ أين عمرو بن معد يكرب ؟ أين شرحبيل بن السمط ؟ أرسل إليهما لينجداه .

خالد : (**لمن يليه من المبلغين**) صلنى بالقلب .. صلنى بمذحج وبكندة.أين أنت يا أبا ثور وأين أنت يا شرحبيل ؟ أنجدا الفارس المحاط به !

المبلغ الأدنى : (**لخالد**) يقول الأشعث إنه لا يعرف فارس البلقاء وليس هناك من يعرفه .

سعد : عجباً ! لا يعرفه إحد . لو كانت الملائكة تباشر القتال لقلت إنه ملك !

خالد : إن يكن من الملائكة فلا خوف عليه من إحاطة الفرسان .

سعد : أما يزال قائماً بينهم ؟

خالد : إن فرسه تدور بينهم كالخُذْروف وهو يدفعهم عن نفسه. ها هو ذاك أبو ثور قد تقدم لنجدته .

سعد : أجلْ . ذاك أبو ثور . ومن ذاك خلفه ؟

خالد : شرحبيل بن السِّمط ورب الكعبة !

سعد : لله أبوه ! لينتزعنّ هذا الشاب رئاسة قومه من يد الأشعث ابن قيس .

خالد : أما إنه لأحبُّ إلى كندة من الأشعث .

سعد : وأحبُّ إلى الله ورسوله منه .

خالد : دخلا فى زحمة الفرسان ... انفرجت الحلقة .

سعد : الحمد لله !

خالد : أبو ثور يضرب بسيفه فيقد الفرسان وأفراسهم معهم .. والآخران يطاعنان بالرماح !

سعد : لم يبق إلا ثلاثة فرسان .

خالد : هم أبطال الإسلام قد انكشف عنهم العدو !

سعد : إذاً لم يُصَبْ فارس البلقاء !

خالد : نعَمْ .. لم يُصَبْ بسوء . ها هم قد رجعوا إلى صفوف المسلمين .

سعد : اللهم اغفر لعمرو بن معد يكرب .. اللهم اغفر لشرحبيل ابن السِّمط .. اللهم اغفر لفارس البلقاء !

خالد : ليت شعرى من فارس البلقاء هذا ؟

سعد : ما زلتُ فى شك أمره أن لا يكون أبا محجن الثقفىّ .
(**لأحد غلمانه**) انزل إلى المحبس يا غلام فانظر هل ترى به أحدا ؟

(**يمضى الغلام**)

خالد : ها هو ذا فارس البلقاء قد دار خلف المسلمين أيضاً يقصد الميسرة .

سعد : لو لم يكن أبو محجن فى الحبس لأقسمت أنه هو .

خالد : برز إلى ميمنة القوم يلعب برمحه وسلاحه .

(**يعود الغلام**)

سعد : (**للغلام**) ما عندك .. هل وجدته فى المحبس ؟

الغلام : نعم وجدته نائما يغطّ .

سعد : هل وجدت الباب مقفلاً كما كان ؟

الغلام : نعم .

سعد : قبحه الله ! يغطّ نائماً والمسلمون فى بأس شديد !

خالد : حمل العدو حملة عنيفة .. انظر .. ! هؤلاء الثلاثون ألفاً المسلسلون قد زحفوا على القلب فزحزحوه .

سعد : أجل .. لا حول ولا قوة إلّا بالله . أين أبطال تميم ؟ أين القعقاع بن عمرو ؟

خالد : إنهم لا ريب يريدون هذا القصر لمكانك يا سعد . ألا ترى الأفضل أن نبرح هذا الموضع ؟

سعد : (مغاضباً) ثكلتك أمك يا خالد ! أتدعونى للفرار ويلك ؟ كلا والله لا أبرح موضعى هذا حتى أُقتل ! اللهم الطف بالمسلمين .. اللهم نصرك ووعدك ! أين القعقاع ؟ سل عنه ويلك أين هو ؟

خالد : (لمن يليه من المبلغين) صلنى بتميم .. سل عن القعقاع بن عمرو وأين هو ؟ (لسعد) هذه فرسان العدو يا سعد قد اخترقوا الصفوف من جانبى المسلمين !

سعد : اللهم حمى الوطيس .. اللهم وعدك ونصرك !

خالد : إن تميما لا تعرف أين غاب القعقاع !

سعد : يرحمه الله ! أتراه استشهد ولم يروه ؟ واهاً عليك يا فارس تميم !

خالد : هذان فارسان من العدو قد أقبلا نحونا منطلقين !

سعد : جرّد سيفك يا خالد وصح بالمُسلمين النجدة .

خالد : (بأعلى صوته شاهراً سيفه) النجدة النجدة يا أبطال المسلمين ! القصر القصر !

صوت : لبّيك يا سعد ! أنا علباء بن جحش !

سعد : هذا علباء بن جحش العجلي ... كرّ الفارسان عليه .

خالد : شدّ علباء على أحدهما فأطار رأسه ... أوّاه ! طعنه الآخر في بطنه فخرّ على الأرض !

سعد : قام علباء فرمى بحربته على الفارس فأنشبها في حلقه .

خالد : ويح علباء ! أما تراه قد انتثرت أمعاؤه فى الأرض وهو يجمعها !

صوت علباء : رحم الله مسلماً أعانني فأدخل لى أمعائى !

خالد : هذا رجل من المسلمين قد أدخل له أمعاءه .

صوت علباء : أرجـو بهـا من ربنـا ثوابـا
قد كنت ممـن أحسن الضرابـا

سعد : أجلْ والله الجنّة !

خالد : ما أثبت جنانه ! ركض إلى الميدان ويد على بطنه وأخرى تحمل السيف .

سعد : اللهم ارحم علباء بن جحش !

خالد : ما العمل يا سعد . ما تزال جنود العدو تتقدم وجنودنا تتقهقر فى القلب والميسرة .

سعد : تلك الكتيبة المسلسلة كأنها قطعة صماء من الحديد هى التي زحزحت المسلمين القهقرى .

خالد : أجلْ وفرسانهم يحمونها من حفافيها .

سعد : واهاً على القعقاع لو شهد !

خالد : الله أكبر ! ما هذه الأغوال السود قد مرقت من صفوف المسلمين إلى الميدان !

سعد : الله أكبر ! لم يمت القعقاع .. هذه أغواله السود .. هذه إبله المبرقعة بالسواد . هذه فيلة العرب !

خالد : أجفلت خيول العدو وولّت منهزمة لا تلوى على شيء . ارتطم بعضها فى الكتيبة المسلسلة ! انطلقت خيولُ المسلمين تطارد خيول العدو ! ارتد رستم إلى الوراء ... انهزم رجاله ...

أصوات المسلمين : (**تدوى كالرعد**) الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !

سعد : مُر المسلمين أن لا يتعقّبوا العدو وراء المعبر .

خالد : (**بأعلى صوته لمن يليه من المبلغين**) أيها المسلمون قد أمر سعد أن لا تتعقبوا العدو وراء النهر !

سعد : انظر يا خالد . تلك الكتيبة المسلسلة تنهزم يطأ بعضها بعضا .

خالد : والمسلمون وراءهم يعملون السيوف فى ظهورهم .

سعد : لن يجوز المعبر منهم أحد .. ليبيدنّهم المسلمون دونه . (**يتنفس الصعداء**) الحمد لله ، قد نفّس الله عن المسلمين وهزم العدو إلى حين . يوم بيوم .

خالد : غدا يجيء هاشم بالمدد .

سعد : أجلْ إن شاء الله . غدا يكون الفصل !

(**ستـــار**)

الفصل الثاني

المنظر نفسه في شرفة القصر . يظهر سعد بن أبي وقاص قاعداً على سريره وحوله المغيرة بن شعبة والقعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو وغلمان سعد الثلاثة .

القعقاع : لو تركتنا فجزنا المعبر في إثر العدو لنكلنا به .

سعد : ويلك يا قعقاع ، إن المسلمين قد لقوا بأسا شديداً أمس واليوم ، ووجيَتْ خيولهم فلا بأس أن يستجموا إلى الغد . وغداً يجيءُ هَاشم بالمدد إن شاء الله فيكون للمسلمين قوة .

عاصم بن عمرو : ليس لنا أن نغتر بارتداد العدو اليوم ، فغداً يعاودنا رستم بجموع أكثر عدداً ، وأكثر مددا .

القعقاع : إذاً يجدونا إن شاء الله كما يسرّ الله ورسوله ويسوءهم .

سعد : قد جاءني اليوم رسول لأمير المؤمنين بأربعة أسياف وأربعة أفراس لأقسمها فيمن انتهى إليهم البلاء من أبطال المسلمين ، وأنتم أهل الرأي والمشورة ، فمن ترون أحق بها من سواهم ؟

(يسكت الثلاثة هنيهة)

المغيرة : **(للقعقاع وعاصم)** ما لكما لا تنطقان ؟ لعلكما

تخشيان أن لا تذكراني بين المستحقين . والله لو علمت أني أحدهم لطالبتُ بنصيبي من تكرمة عمر ؛ ولكني أرى أن تعطى هذه التكرمة لكما ولطليحة بن خويلد وحمال بن مالك والربيل ابن عمرو وعمرو بن معديكرب . وأضيفوا اثنين آخرين إليهم .

القعقاع : أين أنت من الأبطال اليربوعيين الثلاثة ؟ فو الله إنهم لأحق الناس .

سعد : إذاً يزيد عددهم واحداً ليس له شيء .

عاصم : فليكن نصيبي لعمرو بن معديكرب ، فإن أبا ثور يحب الزهو ، ويحتاج إلى التألف .

سعد : بارك الله فيك يا عاصم . ولكنكم نسيتم أيضاً فارس البلقاء فقد أبلى والله بلاء كبيراً .

القعقاع : أجلْ .. بيد أننا لا نعرف من هو .

عاصم : إنه ليشبه أبا محجن الثقفي .

سعد : صدقت .. وفرسه تشبه البلقاء فرسي ، ولكن أبا محجن في الحبس ، وفرسي في الإصطبل .

القعقاع : رأيت قوماً يحسبونه من الملائكة .

عاصم : وسمعت آخرين يتحدثون إنه الخضر عليه السلام .

سعد : فيم سكتَّ يا بن شعبة ... ما تقول أنت فيه ؟

المغيرة : أما أنا فإني والله لا أخدع . إنه أبو محجن الثقفي نفسه بلحمه ودمه ، والفرس فرسك يا سعد .

سعد : ولكنى قد بعثت الغلام يتفقده حينئذٍ فوجده نائما فى المحبس يغط .

المغيرة : هل بعثته أيضاً فتفقد الفرس فى الإصطبل ؟

سعد : لا والله لم يخطر هذا ببالى حينئذ .

المغيرة : لا بد أنه انطلق وأقام مكانه غيره وخَلّفَك على الفرس (**لأحد غلمان سعد**) هلم معى يا غلام إلى الإصطبل .

(**يخرج المغيرة بن شعبة يتقدمه الغلام**)

سعد : لقد شككنى المغيرة فى أمر هذا الفارس .

عاصم : مُعضلةٌ ليس لها إلا المغيرة داهية العرب .

القعقاع : لقد أعطِيَت القوس لباريها .

(**يعود المغيرة والغلام**)

المغيرة : وجدتها تنهج إعياء ، وترفضّ عرقا . فلا ريب أنه أخذها فركبها .

سعد : (**لاثنين من غلمانه**) انزلا فائتيانى بأبى محجن .

أحد الغلامين : أنحُلّ عنه قيده ؟

سعد : كلا ويلك .. ائتيانى به فى قيده ! (**يخرج الغلامان**) والله لئن يكن هو فارس البلقاء ، لأطلقنّ سراحه ولأكافئنّه !

عاصم : أكرم به فارساً لولا استهتاره .

المغيرة : ما ضرّكم لو تركتموه يقاتل مع المسلمين كما يشاء !

سعد : دعنى من هنيهاتك يا مغيرة ! ما كنت لأدعه يرى المسلمين يتحاضون على الجهاد فى سبيل الله ، فيتغنّى بينهم بأم الخبائث .

(يعود الغلامان بأبى محجن يرسف فى قيوده)

أبو محجن : لعلك تريد أن تطلقنى الآن يا سعد بعد أن انتهى القتال .

سعد : دعنى من هذا ، ولكن قل لى فاصدقنى : أبرحت المحبس وانطلقت بالبلقاء إلى الميدان ساعة الباس ؟

أبو محجن : أنى لى ذاك يا سعد ودونى المصراع الحديد وهذه القيود فى يدىّ ورجلىّ ؟

عاصم : ولكنا رأينا فارساً يشبهك تمام الشبه يقاتل على البلقاء .

أبو محجن : أين يذهب بحلومكم يا قوم ؟ أتجدّون معى أم تهزلون ؟

القعقاع : بل أنت هو ، وقد رأيناك جميعاً . فلا تحاول الإنكار .

أبو محجن : لعل الله شاء أن لا يحرمنى ثواب القتال وقد نويته ، فأرسل ملكا على صورتى ليقاتل مكانى !

سعد : فما بال البلقاء وجدناها تنهج إعياء وترفضّ عرقاً ؟

أبو محجن : لا أدرى ما بال الفرس ... سلوها من ركبها ؟ وبعد فما يضر أمير الجيش خروج فرسه للقتال ، وهو قاعد فى القصر ؟ لقد نابت الفرس عن صاحبها فى القتال ، وناب الملك عنى !

سعد : ما أنت وذاك ويلك أئنك لتعيّرنى بالقعود ؟

أبو محجن : لست أنا لذى عيّرك بالقعود يا سعد وإنما هو القائل :

نقاتل حتى أنزل الله نصره
وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة
ونسوة سعد ليس فيهم أيّمُ !

سعد : شد ما لقيت من قومي ! والله لولا خشيتي على المسلمين لاستعفيت من إمرة الجيش . قبّح الله يوماً أعيّر فيه بالجبن . والذى نفس سعد بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل كما ود حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك .

المغيرة : هوّن عليك يا سعد إن مثلك لعمرى لا يجبّن ، وقد شهدت المشاهد كلها مع رسول الله ، وكنت من السابقين الأولين .

عاصم : وكنت أول من ذبّ عن رسول الله ، ووقاه بنفسه ، حتى فداك بأبيه وأمه ولم يجمعهما لأحد غيرك .

سعد : (**يرفع رأسه**) اللهم إن كان قائل هذين البيتين كاذباً ، أو قالهما رياء وسمعة ، فاقطع عنى لسانه ويده .

أبو محجن : والله ما جنى على قائلهما أحد غيرى إذ هجتك عليه يا سعد . إنك — ما علمت وعلم المسلمون — لمجاب الدعوة .

سعد : وإنك — ما علمت وعلم المسلمون — لسيء الأدب مستهتر . فقل لى من أطلقك وأعارك الفرس ؟

أبو محجن : والله ما أطلق رجلىّ أحد وما أعارنى الفرس أحد .

المغيرة : أجل .. أطلق هو رجليه بنفسه .. سل الموكل بالفرس يخبرك يا سعد .

سعد : (**لأحد غلمانه**) ائتنى بميمون يا غلام .

(**يخرج الغلام ثم يعود بميمون**)

سعد : هلُمّ يا ميمون .. هل أعرت البلقاء لأحد ؟

ميمون : لا وعيشك ما أعرتها لأحد .

سعد : والله لتقولن الحق أو لأوجعنك ضربا (**يسكت الغلام**) خذ سوطى هذا فاجلد الغلام يا قعقاع .

(**يسمع صوت سلمى من خلف الباب**)

صوت سلمى : مهلا يا أمير الجيش .! لا ذنب للغلام . أنا التى أمرته بإطلاق أبى محجن بعد أن وثقت بعهده أن يعود بعد القتال إلى المحبس والقيد . وقد فعل والله وأوفى بعهده.

سعد : هيه يا أبا محجن .. أتكذبنى ويلك ؟

أبو محجن : لا والله ما كذبتك يا سعد وليس الكذب من شيمتى .

سعد : ألم تحلف لى بأن أحداً ما أطلقك أو أعارك الفرس ؟

أبو محجن : (**يشير إلى المغيرة**) سل هذا الداهية يجبك .

المغيرة : لقد صدق أبو محجن يا سعد . إنه إنما حلف لك أن أحداً لم يطلق رجليه ، فقد أطلق هو رجليه بنفسه ، بعد أن أطلق الغلام يديه .

سعد : (**يضحك**) ما رأيت أعجب منكما ماكرين ! .. والبلقاء ألم يعركها أحد ؟

أبو محجن : لا والله لا أكذب على زوجتك صاحبة الفضل علىّ فيما صنعتْ لله ما هى أهله . لقد سألت سلمى أن تأذن لى بالفرس فلم تفعل ، فسطوت على البلقاء غصباً . فإن أردت أن تعاقبنى على شىء ، فعاقبنى على أخذى الفرس دون إذن ذويها .

سعد : كلا والله لا أعاقبك . لقد أبى الله أن تقاتل خيول المسلمين وتبقى البلقاء مربوطة فى الإصطبل . خذها إليك يا أبا محجن مكافأة لك على حسن بلائك .

أبو محجن : ماذا أصنع بالبلقاء وأنا مقيد فى الحبس ؟

سعد : صدقت .. والله لا تعود إلى الحبس . أمط القيود عنه يا غلام .

(يحل الغلام القيود عن يديه ورجليه)

أبو محجن : شكراً لك يا بن أبى وقاص .. إنك لأمير كريم .

سعد : لا تشكرْنى واشكر صاحبة الفضل عليك سلمى بنت آل خصفة ! لا كنتُ ابن حرّة إن أغضبتها أو عتبت عليها بعد اليوم !

صوت سلمى : غفر الله لك يا سعد .. لئن كنت أغضبتنى لأنا الجانية عليك الظالمة لك ، إذ لمتُك على قعودك عن القتال ، وأنت على حالك لا تستطيع الحركة أو النهوض .

سعد : يغفر الله لك يا سلمى .. هل نهض عندك عذرى الآن ؟

صوت سلمى : يشهد الله إنها لكلمةٌ أرسلتها عن غير قصد منى . فهبها لى يا صاحب رسول الله ، فو الله ما اكتحلت عينى بنوم منذ قلتها .

سعد : لا عليك يا سلمى .. بل سامحينى أنت إذ لطمتك ، فقد ترين ما أنا فيه من الكرب وضيق العطن .

صوت سلمى : أجلْ .. شفاك الله وعافاك ! والله لئن كنت لطمتنى لَبيَدٍ بايعتْ يمين رسول الله وذبت عنه فهى شرف لى.

سعد : لا عدمتك يا سلمى .. بارك الله فيك .

أبو محجن : إي والله ، وشكر سعيك يا بنت آل خصفة . إنك والله لكريمة عند بعل كريم !

سعد : أحسنت إذ شكرتها فإنها لربّة الفضل عليك .

أبو محجن : لقد نسيت أمراً يا سعد .

سعد : وما هو ويحك ؟

أبو محجن : أن تقيم حدَّ الخمر عليّ .

سعد : هيهات يا أبا محجن ، هيهات أن أكون أكرم لك من ربيّ فأعفو عنك ولا يغفر الله لك عز وجل .

أبو محجن : ولكنها كفّارة لي أطهر بها من ذنبي .

سعد : إني لأرجو أن قد غفر الله لك ، وكفر عن خطيئتك بما دفعت عن المسلمين اليوم . ولعل الله يتوب عليك فلا تعود لشربها أبداً .

أبو محجن : (يترقرق الدمع في عينيه) أشهدك الله يا سعد وأشهدكم معشر الحاضرين أني قد كنت أشربها إذ كان الحدُّ يقام عليّ وأُطهر منها ، فأمّا إذ أسقطه الأمير عني فلا والله لا أشربها أبدا .

سعد : أمَا إني لأعلم أنك امرؤ صدوق يا أبا محجن .

أبو محجن : ولكن .. تباً لي !

سعد : ماذا ويحك ؟

أبو محجن : أبياتٌ من الشعر أخذتْ تدب على لساني ، لولا أنك تكره سماعها لقلتها .

سعد : قلها ولا حرج !

أبو محجن : إن كانت الخمر قد عزّتْ وقد مُنِعَتْ

وحال من دونها الإسلام والحَرَجُ

فقد أباكرها صِرْفاً ! وأمزجها

ريّاً ، وأطرب أحياناً وأمتزجُ

وقد تقوم على رأسي منعّمة

فيها إذا رفعتْ من صوتها غَنَجُ

ترفّع الصوت أحياناً وتخفضه

كما يطنّ ذباب الروضة الهَزِجُ

أستغفر الله من إثمٍ نطقتُ به

تهفو به كبدى كرهاً وتختلج

سعد : لا حرج عليك إن شاء الله .

أبو محجن : ألا تدعو الله لى يا سعد فإنك لمجاب الدعوة .

سعد : (**رافعا يديه**) اللهم اغفر لعبدك أبى محجن وتب عليه . اللهم بغّضها إلى نفسه، كما حبّبت إليه الجهاد فى سبيلك !

أبو محجن : فزت بدعوة سعد ورب الكعبة !

يا خمر ! لاحظّ لى في تِبرِكِ أو فى لجَيْنِك

لقد صحبتُك حتىّ قضيت كامل دَيْنك

وكنتِ قرّة عينى وكنتُ قرّة عينك

فودّعِى اليوم ، هذا فراق بينى وبينك !

(ستار الختام)